مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)- العدد(1)-الجزء(3) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

ركائز الأمن الفكري في الخطاب القرآني دراسة تفسيرية في سورة الأنفال

م.م. آية وائل صالح
المديرية العامة لتربية الرصافة الاولى
وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني، الامن الفكري، سورة الأنفال

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان ركائز الأمن الفكري في الخطاب القرآني من خلال دراسة تفسيرية تحليلية لسورة الأنفال، بوصفها نموذجًا قرآنيًا عالج قضايا الاضطراب الفكري في سياق الأزمات والصراعات. ويعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي، من خلال تحليل الآيات القرآنية، واستقراء دلالاتها، وربطها بسياقها التاريخي والواقعي، للكشف عن الأسس الإيمانية والتربوية والمنهجية التي اعتمدها القرآن في تحقيق الاستقرار الفكري للأفراد والمجتمعات. وقد توصل البحث إلى أن الأمن الفكري في القرآن يقوم على جملة من الركائز، أبرزها: تزكية النفس، وترسيخ اليقين بالله، وتعميق قيمة التوكل، وضبط الانفعالات في أوقات الشدة، وتعزيز وحدة الصف والطاعة الواعية للقيادة الشرعية، كما أظهر البحث أن سورة الأنفال تقدم تصورًا متكاملًا للأمن الفكري، يجمع بين البناء العقدي والتوجيه السلوكي والمعالجة الواقعية للأزمات، بما يجعلها مرجعًا قرآنيًا مهمًا في دراسة قضايا الأمن الفكري المعاصر.

المقدمة:

يعد الأمن الفكري من القضايا المركزية التي فرضت حضورها بقوة في الخطاب العلمي المعاصر، لما يترتب على اختلاله من آثارٍ خطيرة تمس بنية الفرد، وتماسك المجتمع، واستقرار الدولة، وقد كشفت التحولات الفكرية المتسارعة، وتعدد مصادر التأثير الثقافي والإعلامي، عن هشاشة الوعي حين ينفصل عن مرجعيته العقدية، وعن خطورة الفكر المنحرف حين يتسلل إلى العقول تحت شعارات براقة أو تأويلات مغلوطة للنصوص الشرعية، ومن هنا برزت الحاجة الملحة إلى العودة إلى القرآن الكريم بوصفه المصدر المؤسس للوعي، والحارس الأمين للفكر، والمنظومة القيمية القادرة على تحقيق التوازن بين العقل والوحي، وبين الثبات والتجديد.

وينطلق هذا البحث ليؤكد أن الخطاب القرآني لا يقتصر على توجيه السلوك التعبدي فحسب، بل يتضمن رؤية متكاملة لبناء الإنسان فكريًا ونفسيًا واجتماعيًا، وأنه أسس منذ المرحلة المدنية الأولى - ولا سيما في سورة الأنفال - لنموذج متقدم في تحقيق الأمن الفكري، من خلال ترسيخ اليقين، وضبط الانفعال، وتزكية النفس، وتنظيم العلاقة بين الفرد والجماعة، وبين القيادة والطاعة، وبين القوة المادية والاعتماد على الله تعالى.

وتأتي سورة الأنفال بوصفها نموذجًا تطبيقيًا بالغ الأهمية؛ إذ نزلت في سياق أزمة وجودية واجهها المجتمع المسلم الناشئ بعد غزوة بدر، حيث تداخلت التحديات العسكرية مع الإشكالات النفسية والفكرية والاجتماعية، فكان الخطاب القرآني فيها معالجًا دقيقًا لهذه التوترات، ومؤسسًا لركائز الأمن الفكري القائم على الإيمان، والطاعة، والانضباط، وتزكية النفس، واللجوء إلى الله تعالى.

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية البحث في التساؤل الرئيس الآتي: كيف أسهم الخطاب القرآني في سورة الأنفال في ترسيخ الأمن الفكري لدى الجماعة المسلمة، وما أبرز الركائز المنهجية والتربوية التي اعتمدها القرآن لتحقيق ذلك؟

أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث فيما يأتي:

- إبراز البعد الفكري والأمني للخطاب القرآني، وإعادة توظيفه في الدراسات المعاصرة.
- بيان أن الأمن الفكري مفهوم قرآني أصيل، وليس وافدًا اصطلاحيًا معاصرًا.
- الكشف عن المنهج القرآني في معالجة الأزمات الفكرية في سياق الصراع والابتلاء.
- تقديم قراءة تطبيقية لسورة الأنفال في ضوء قضايا الأمن الفكري المعاصرة.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي، من خلال تحليل النصوص القرآنية الواردة في سورة الأنفال، واستنباط الدلالات الفكرية والتربوية المرتبطة بالأمن الفكري.

الخطة:

المبحث الأول: مفهوم الأمن الفكري وعلاقته بالخطاب القرآني:

المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أهمية الأمن الفكري، ووسائل تحقيقه في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مضامين الأمن الفكري في سورة الأنفال:

المطلب الأول: التعريف بسورة الأنفال.

المطلب الثاني: ركائز الأمن الفكري في سورة الأنفال.

المبحث الأول: مفهوم الأمن الفكري وعلاقته بالخطاب القرآني

المطلب الأول: مفهوم لأمن الفكري في القرآن الكريم:

أولًا: معنى الأمن لغةً واصطلاحًا: الأمن في أصل اللغة مشتق من الفعل "أمن"، وقد اعتنى أئمة المعاجم العربية بتتبع جذره ودلالاته الأساسية، يقول ابن فارس "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق"[(1)]؛ وهو تقرير دلالي بالغ الأهمية، إذ يجمع بين البعد النفسي (سكون القلب واطمئنانه) والبعد المعرفي (التصديق والوثوق)، وهما بعدان سيظهر أثرهما لاحقًا في بناء مفهوم الأمن الفكري.

ويؤكد ابن منظور هذا المعنى ويزيده وضوحًا، إذ يقول: "الأمن: ضد الخوف، ومنه أمن فلانٌ يأمن أمنًا وأمانًا، والأمانة: ضد الخيانة؛ لأنه يؤمن أذاه، وقد أمنه وأمنه وأتمنه واتمنه"[(2)]، ويكشف هذا النص عن تداخل دلالي بين الأمن بوصفه حالة نفسية من الطمأنينة، وبين الأمانة بوصفها قيمة أخلاقية وسلوكية قائمة على الثقة وانتفاء الخيانة، ولا يخرج الفيروزآبادي عن هذا الإطار العام، إذ يقول: "الأمن والآمن: ضد الخوف، والأمانة والأمنة: ضد الخيانة"[(3)]، وهو تعريف موجز يجمع بين الدلالتين الأساسيتين للمادة اللغوية.

وقد درج كثير من أهل اللغة على القول بأن "الأمن ضد الخوف"، غير أن التحقيق المنطقي يقتضي القول بأن الأمن نقيض الخوف لا مجرد ضده؛ لأن اجتماع الضدين ممكن في الجملة، بخلاف اجتماع النقيضين فهو محال، وقد أشار إلى هذه الدقة ابن منظور حيث قال إن الأمن نقيض الخوف[(4)]، ويشير الجرجاني أن " الأمن هو عدم توقع مكروه في الزمن الآتي" [(5)]، وبين الأصفهاني أن " الأمن تارةً يجعل اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارةً اسمًا لما يؤمن عليه الإنسان" [(6)].

ويأتي الأمن بمعنى "الوقاية"، وتدل في أصلها اللغوي على المنع والحفظ والدفع، يقال: وقاه يقيه وقايةً، أي ستره عن الأذى وحماه منه[(7)]، وجاء هذا المعنى مؤيدًا بالاستعمال القرآني الصحيح، في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: 21]، أي: ما كان لهم من دافعٍ يدفع عنهم عذاب الله أو يقيهم منه، وهو نص قرآني محكم الدلالة، يبرز معنى الوقاية بوصفها دفعًا وحمايةً قبل وقوع الضرر أو بعده، كما قرر الفراهيدي هذا المعنى حيث قال: "وكل ما وقى شيئًا فهو وقاء له ووقاية"[(8)].

ثانيًا: معنى الفكر لغةً واصطلاحًا: تدور مادة "فكر" في أصلها حول حركة القلب والعقل وتقليبهما في الشيء طلبًا لمعناه، وقد قرر ابن هذا الأصل حين قال: "الفكر تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبرًا، ورجل فكير: كثير الفكر، وهو إعمال العقل والنظر في الشيء"[9]، أو "والفكر والتفكر: واحد، ورجل فكيرٌ: كثير الإقبال على الفكرة، والفكرى: الفكرة"[10]، وجاء في لسان العرب "الفكْر والفكْر: إعمال الخاطر في الشيء، والفكرة: كالفكر، وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى، والتفكر اسم التفكير، ومعناه التأمل"[11]، وذكره أبو البقاء الكفوي أن: "الفكر: حركة النفس نحو المبادئ، والرجوع عنها إلى المطالب" [12]، وتبرز هذه التعريفات بوضوح أن الفكر عملية ذهنية متحركة قائمة على التردد والنظر والاعتبار، لا على الجمود والثبات، بينما يعمق الراغب الأصفهاني هذا المعنى حين يربط الفكر بقوة إنسانية مخصوصة، فيقول: "الفكر ومنه الفكرة، وهي قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان"[13]، أو هو " ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول"[14].

ولقد توسعت التعريفات الحديثة لتربط الفكر بالمنهج العلمي والحركة البحثية، فعرفه الدسوقي بأنه: "الخطوات الذهنية التي يتبعها الباحث بقصد تحصيل المعرفة"[15]، بينما وصفه الخولي بأنه: "صفة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا العلم والحياة"[16].

ثالثًا: مفهوم الأمن الفكري: لقد صاغ أبو زيد مفهوم الأمن الفكري: "الأمن الفكري هو سلامة الفكر الإنساني من الزيغ والانحراف في فهم الأمور حال طلبها للوصول إلى حقيقتها والحكم عليها"[17]، ويرى الباحث أن الأمن الفكري يتمثل في: العمل المنهجي على توفير الوقاية الفكرية للإنسان، بصرفه عن مسارات الانحراف والجمود، وتوجيهه نحو التفكير السليم المنتج، الذي ينسجم مع ثوابت العقيدة، ويحقق مقاصد الشريعة في الدنيا والآخرة.

ويفهم من هذا أن الأمن الفكري لا يعني تعطيل الفكر أو تجميده، بل يعني توجيهه وضبط مساره، بحيث يمارس وظيفته الطبيعية في التقليب والنظر دون أن ينحرف عن الحقائق الثابتة أو يزيغ عن الأصول المنهجية السليمة، وبذلك يغدو الأمن الفكري ثمرةً لوعيٍ منهجي يوازن بين حرية التفكير والانضباط المعرفي، وهو ما يمهد للانتقال لاحقًا إلى دراسة دور الخطاب القرآني في ترسيخ هذا النوع من الأمن وحمايته من الانحراف.

رابعًا: الأمن الفكري في القرآن الكريم: لا ريب أن الأمن يعد ركنًا ركينًا من أركان الحياة الإنسانية، وضرورة وجودية للفرد والجماعة، حتى اشتق منه اسم من أسماء الله الحسنى، وهو ﴿الْمُؤْمِن﴾، الدال على مانح الأمن والطمأنينة لعباده، وقد امتن الله تعالى بهذه النعمة على العرب فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 3-4]، وقد نص المفسرون على أن الأمن المذكور في الآية يشمل الأمن على النفس، والرزق، والاستقرار العام، وهو شرط سابق على عمارة الدين والدنيا معًا.

وإذا كان الخوف على المال أو الغذاء مهددًا لأمن الإنسان الدنيوي، فإن الخوف على الفكر والعقيدة أخطر أثرًا، إذ يهدد استقرار الإنسان في دنياه ومصيره في أخراه، ومن هنا انفرد الإسلام - دون غيره - بتشريع شامل يعالج شؤون الحياة كلها، ويحقق التوازن بين مطالب الجسد، وحاجات العقل، وطمأنينة الروح، فلا يمكن تصور وقاية حقيقية للأمن الفكري إلا في ظل الالتزام بالشريعة التي تصالح بين ما يؤمن به الإنسان وما يطالب بتطبيقه عمليًا.

وقد قرر القرآن الكريم هذا المعنى تقريرًا جليًا حين جعل إقامة الدين والعمل الصالح شرطًا لتحقيق الأمن الشامل، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55]، وقد قرر الإمام ابن عاشور أن هذه الآية ترسم معادلة واضحة بين التمكين الديني والاستقرار الأمني، وأن الخلل في أحدهما ينعكس بالضرورة على الآخر[18].

وقد علق ابن كثير على هذه الآية بقوله: "أي تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليعبدوه وحده لا شريك له، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه"[19]، وأما الأمن بمعنى الأمانة، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: 72]، وهي آية محكمة الدلالة على ثقل الأمانة ومسؤولية حملها، بما يشمل أمانة التكليف وأمانة العقل والفكر.

ويستفاد من مجموع النصوص الشرعية أن الأمن الفكري - مهما اتسع نطاقه - لا يخرج في جوهره عن تحصيل الطمأنينة على الدين، والنفس، والعقل، وهي الضروريات الكبرى التي قامت عليها مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد نص الإمام الشاطبي على أن حفظ هذه الضروريات أصل كل تشريع، وبه تتحقق مصالح العباد في المعاش والمعاد، كما قرره في قوله: "إن الشريعة إنما وضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل" [20]، وانطلاقًا من ذلك، كان من المنهجي دراسة الأمن

الفكري في منبعه الأول، وهو القرآن الكريم، من خلال مكيه ومدنيه، حيث تعرض المجتمع المسلم الناشئ لغزو فكري متنوع المصادر، قاده مشركون، ومنافقون، وغيرهم.

وقد واجه القرآن الكريم هذا الغزو بأساليب متعددة، من أهمها: ترسيخ المرجع الوحيي، وبناء الوعي العقدي، وتنمية الحس النقدي، وربط الطمأنينة بالإيمان، وقد تجلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: 123]، حيث قرن الهداية بالأمن النفسي والفكري، ونفى الضلال والشقاء عمن التزم بمنهج الوحي، كما أكد القرآن حصر القبول الديني في إطار الإسلام الحق، حماية للمنظومة العقدية من التبديل والتمييع، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85] وقد فهم علماء التفسير من هذه الآية أنها سد لباب الاضطراب العقدي، وضمان لوحدة المرجعية الدينية.

وقد ورد التأكيد على المرجعية المزدوجة للكتاب والسنة في تحقيق الأمن الفكري، حيث روي عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "كل شيءٍ يرد إلى الكتاب والسنة"[21]، وهو نص يؤكد وحدة المنهج في رد الشبهات، وصيانة الفكر من الانحراف، ويخلص من هذا أن القرآن الكريم لم يكتف بمواجهة الشبهات ردا وجدليًا فحسب، بل سعى إلى بناء وعي وقائي دائم، يتحول إلى ملكة ذاتية في نفس المؤمن، تحميه من الغزو الفكري عبر العصور، وهو ما يجعل دراسة الأمن الفكري في القرآن مدخلًا أساسًا لفهم آليات التحصين العقدي والفكري في الحاضر، وربطها بالتجربة القرآنية الأولى.

المطلب الثاني: أهمية الأمن الفكري، ووسائل تحقيقه في القرآن الكريم:

أولًا: أهمية الأمن الفكري: يعد الأمن من أعظم النعم التي امتن الله تعالى بها على عباده، إذ به تستقيم شؤون الحياة الدنيوية، وتتهيأ النفوس لاستقبال الهداية، والقيام بحقوق العبودية، وحفظ الضروريات التي جاءت الشريعة بصيانتها، ومن ثم فإن الحديث عن الأمن - في أي صورة من صوره - لا ينفك عن الحديث عن الدين، بل إن الأمن على الدين هو أساس كل أمن، وبدونه يختل ميزان الحياة في الدنيا والآخرة، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة دلالةً واضحةً على مركزية الأمن في التصور الإسلامي، وربطته ربطًا وثيقًا بالإيمان الصحيح، والإصلاح في الأرض، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57]، وقال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: 67]، وفي هذا التذكير تحفيزٌ لهم على

المحافظة على هذه النعمة العظمى باتباع رسول الله ﷺ، وإذا كان الأمن في الأوطان من أجل النعم، فإن نعمة الأمن على الدين أولى وأعظم، إذ بها تصان العقائد، وتحفظ القيم، وتستقيم السلوكيات.

وقال سبحانه: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4]، وهي آية جامعة لركني الاستقرار: الأمن المعيشي، والأمن النفسي، وكلاهما نعمة عظيمة، غير أن الأمن على الدين يظل هو الأصل الذي تبنى عليه سائر النعم، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112]، وتدل الآية على أن الكفر بنعم الله، والتنكر لشريعته، سبب مباشر لزوال الأمن، وأن الإيمان والشكر سبب لحفظ النعم واستدامتها.

ومن السنة النبوية قول رسول الله ﷺ: "من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزتْ له الدنيا" [22]، وفي هذا الحديث بيان بليغ لمكانة الأمن في التصور الإسلامي، حيث جعله النبي ﷺ مع الصحة وكفاية العيش معادلًا لامتلاك الدنيا بأسرها، فإذا كان هذا في شؤون الدنيا، فإن الأمن على الدين أولى وأعظم، وكان من دعائه ﷺ: "اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي"[23]، وفي ملازمة هذا الدعاء دلالة واضحة على أن الأمن مطلب يومي للإنسان المؤمن، وأنه يشمل أمن الظاهر والباطن، وأمن النفس والدين معًا.

وقال ﷺ: "المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"[24]، ويفهم من هذا الحديث أن تحقيق الأمن للآخرين مظهر من مظاهر كمال الإيمان، وأن الشريعة جعلت الأمن قيمة أخلاقية واجتماعية أصيلة، لا تستقيم الجماعة المسلمة بدونها، وهو ما يؤكد علو منزلة الأمن في الإسلام، وكونه أساسًا للأمن على الدين والفكر معًا.

ويتبين من مجموع هذه النصوص أن الأمن في التصور الإسلامي ليس مفهومًا ماديًا مجردًا، بل هو ثمرة عقدية وتشريعية، تتأسس على التوحيد، وتصان بإقامة الدين، وتزول بزوالهما، ومن هنا فإن دراسة الأمن الفكري - أو الأمن على الدين - لا يمكن فصلها عن منبعها الأصيل في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا عن مقاصد الشريعة التي جعلت حفظ الدين في مقدمة الضروريات الخمس.

ثانيًا: وسائل تحقيق الأمن الفكري في القرآن الكريم:

1- الإيمان وترسيخ العقيدة: لقد قرر القرآن الكريم الارتباط الوثيق بين الإيمان والأمن تقريرًا صريحًا، فجعل الأمن ثمرةً لازمةً للإيمان الحق، وجعل الإخلال بالعقيدة

والشريعة سببًا مباشرًا لاضطراب الأمن وزواله، ومن أوضح الشواهد على ذلك دعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام حين شيد بيت الله الحرام، إذ قدم طلب الأمن على طلب الرزق، إدراكًا منه لكون الأمن شرطًا سابقًا على كل عمران ومعاش، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: 126]، وقد استجاب الله تعالى لهذا الدعاء المبارك، فامتن على قريش بالأمن بعد الخوف، وبالكفاية بعد الجوع، فقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 3-4]، كما قال عز وجل مذكرًا بنعمة الأمن: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 67].

2- طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله: لما في ذلك من حفظٍ لوحدة الجماعة، وسد لباب الفتن والنزاعات الفكرية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59].

3- العناية بالناشئة والشباب، وتربيتهم تربيةً إسلاميةً متوازنة، وتحصين أفكارهم من الشبهات، وحمايتهم من التأثيرات الإعلامية المنحرفة، لما للشباب من دور محوري في حفظ هوية الأمة الفكرية.

4- إصلاح مناهج التعليم، وتنقيتها مما يخالف أصول الإسلام وقيمه، وبناء العقول بناءً علميًا نقديًا منضبطًا بالوحي، يقي من التطرف والغلو والانحراف.

5- تفعيل دور الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، باعتبارهما صمام أمانٍ للفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 110].

6- الرجوع إلى العلماء الراسخين عند التباس الأمور، وضبط الفتوى، وعدم تصدر غير المؤهلين لها؛ لما في الفتوى المنفلتة من اضطرابٍ للأمن الفكري، وتشويشٍ على الناس، وقد ورد في ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: "هلك في اثنان: محب غالٍ، ومبغضٌ قالٍ"[25].

7- مواجهة مظاهر الإفساد الفكري والإرهاب، وتجريم كل أشكال الإعانة عليه، لما فيه من زعزعةٍ للأمن العام والفكري معًا، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56]، وقد قال رسول الله ﷺ: "لعن الله من آوى محدثًا"[26].

ومن خلال ذلك يتبين إن تحقيق الأمن الفكري مرهونٌ بالالتزام الصادق بالوحي، وبالعمل الجماعي الواعي الذي يحفظ للعقيدة صفاءها، وللعقل توازنه، وللمجتمع استقراره، وقد وعد الله تعالى المؤمنين الصادقين بالأمن والتمكين متى حققوا شروطه، فقال سبحانه: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:82]، وقال عز وجل: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: 5].

ثالثًا: العلاقة بين الخطاب القرآني والأمن الفكري:

تعد القاعدة الفكرية لأي مجتمع هي التي تحدد مصيره بين التقدم والنهضة، أو الجمود والتخلف، فإذا كانت القاعدة الفكرية منحرفة أو متعارضة مع الواقع وسنن الكون، فإنها تهوي بالأمة إلى الحضيض، وتفضي إلى التخلف والجمود، والعكس صحيح إذا كانت هذه القاعدة سليمة وآمنة ومستندة إلى الفطرة الإنسانية وسنن الكون، إذ ترتقي بالأمة إلى أعالي الدرجات، وتحقق لها الرفعة والسعادة والازدهار، يقول الخالدي: "الفكر السليم المستنير هو العنصر الرئيس في نهضة الأمة من جميع نواحي الحياة المختلفة، والتفكير هو القاعدة الرئيسة التي تبنى عليها المشاريع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وكل ما يتعلق بنهضة الأمة وارتقائها"[27].

وفي الإسلام، تعتبر العقيدة السليمة هي الأساس الذي يبني عليه الإنسان المسلم قاعدة فكرية متينة، فتجعله قادرًا على تمييز الفكر الصحيح من الفكر الخاطئ، وتحميه من الانحراف الفكري، يقول النبهاني: "العقلية الإسلامية هي التي تفكر على أساس الإسلام، وبجعل الميول كلها على أساس الحلال والحرام، فكل من يفكر على أساس الإسلام ويجعل هواه تبعاً للإسلام يكون شخصية إسلامية، والمسلم حينما تتكون لديه العقلية الإسلامية والنفسية الإسلامية يصبح مؤهلاً لفهم الحياة فهماً صحيحاً"[28]، وفي هذا السياق، يؤكد القرآن الكريم على العلاقة بين العقيدة الصحيحة وتمام الأمن فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، وقد حث النبي ﷺ على حفظ الأمن النفسي والفكري للأفراد فقال: "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا"[29].

كما يعد الأمن الفكري حجر الزاوية في تحقيق الأمن السياسي لأي دولة أو أمة، لأنه: "طمأنينة وسكينة واستقرار الدولة، والحكم مترتب على ما يقدر فيها من تدابير وشؤون تحقق مصلحة الدولة وتدفع عنها المضار والمفاسد"[30]، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]، فإن الأمن الفكري في تفادي

الانقسامات والصراعات السياسية، ويشير الباحث الخالدي أن: "صاحب التفكير الآمن المستنير هو الذي يدرك أهمية التفكير السياسي في حياة الأمة، وأن الأمة بدون التفكير السياسي الآمن المنطلق من الفكر الآمن المرتكز على العقيدة السليمة لا حياة لها ولا نهضة"[31].

ومن هذا المنظور، يتضح أن الأمن السياسي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال أمن الفكر الفردي والجماعي، وأن الانحراف الفكري يؤدي بالضرورة إلى اضطراب الدولة وتفككها، وهو ما أكده القرآن حين ربط بين العقيدة الصحيحة والاستقرار السياسي.

وكذلك؛ الأمن الاقتصادي فإنه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأمن الفكري، إذ أنه يضمن استقرار الإنسان على ثرواته وموارده المالية، بما يحقق الرفاه والعدالة الاقتصادية، ويعرف أبو زيد الأمن الاقتصادي بأنه: "أمن الإنسان على ما يتعلق بثروته وعلاقاته المالية من إنتاج وتنمية وتوزيع واستهلاك بشكل ما يتحقق له الرفاه الاقتصادي"[32]، ويشير الخالدي أن: "الأمن الاقتصادي لا يتحقق إلا بوجود الأمن الفكري الذي هو سبيل إلى النهضة والتقدم، فكثير من الدول حصلت على الارتفاع الاقتصادي ولكن لم تحصل على الأمن الاقتصادي، لأنها متخلفة في فكرها"[33]، ويظهر هنا أن الأمن الفكري هو شرط أساسي للأمن الاقتصادي، إذ بدون أفكار سليمة تلتزم بالعقيدة الإسلامية، لا يمكن تحقيق العدالة الاقتصادية ولا الحفاظ على الثروات، مهما كانت وفيرة.

إضافة إلى ما سبق فإن الأمن الاجتماعي يدخل في نطاق الأمن الفكري، إذ يعني "الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان، فردًا أو جماعة، في سائر ميادين العمران الدنيوي، بل وأيضًا في المعاد الأخروي"[34]، ويقول محمد قطب: "لقد طغى أصحاب هذه الأفكار الاجتماعية في مجتمعاتهم حتى أفسدوا على الناس حياتهم، فكانت الكنيسة ورجال الدين يفرضان سلطانًا مذلًا على كاهل الناس، فالإنسان لا يملك أن يتصل بخالقه اتصالًا مباشرًا، وإنما ينبغي أن يكون ذلك عن طريق الكاهن أو القسيس"[35]، ويظهر مما سبق أن الأمن الاجتماعي يعتمد على الفكر المستنير القائم على العقيدة الصحيحة، إذ يوازن بين حقوق الفرد وواجباته تجاه المجتمع، ويمنع الفوضى والاضطراب الاجتماعي الناتج عن الفكر المنحرف.

المبحث الثاني: مضامين الأمن الفكري في سورة الأنفال

المطلب الأول: التعريف بسورة الأنفال:

تتمحور سورة الأنفال حول الأمن الفكري والسياسي والروحي للمسلمين وتطبيق ذلك من خلال الأحداث بعد غزوة بدر، فقد تناولت قضية الغنائم كمثال على اختبارات الإيمان والتقوى، ويشير الزحيلي أنها نزلت بعد: "سؤال الناس عن أحكام الغنائم الحربية"[36].

وسبب تسميتها بهذا الاسم هو ورود كلمة "الأنفال" فيها، أي الغنائم، والتي اختلف المسلمون في كيفية توزيعها بعد نصر بدر، وقد انعكس هذا الاختلاف على أخلاقهم وسلوكياتهم كما روي عن عبادة بن الصامت ﷺ: "وقد ساءت أخلاقهم"[37]، "وسورة الأنفال من السور المدنية، وهي الثالثة نزولاً بالمدينة بعد الفاتحة والبقرة"[38]، وتضم السورة 75 آية، وهي الثامنة في ترتيب المصحف الشريف، كما أوضح الإمام السيوطي: "إن وضع هذه السورة وبراءة هنا ليس بتوقيف من الرسول ﷺ والصحابة، كما هو الراجح في سائر السور، بل اجتهاد من عثمان ﷺ، وقد استشكل ابن عباس ﷺ ذلك"[39]، ويظهر من ذلك أن الاختلافات الدنيوية حول الغنائم لم تكن الهدف الأساسي، بل أراد الله أن يرسخ في قلوب المؤمنين تقوى الله وطاعة رسوله والتراحم بين المسلمين وإصلاح ذات البين، وهي عناصر أساسية في الأمن الفكري والاجتماعي والسياسي.

ووضح الشاذلي ملامح السورة وأثرها على الأمن الفكري في (ظلال القرآن) حيث قال " بيان حكم الله في الأنفال، بعد ما أثير بين أهل بدر من الجدال حول تقسيمها، فردهم الله إلى حكمه فيها؛ كما ردهم إلى تقواهم وطاعته وطاعة رسوله؛ واستجاش في قلوبهم وجدان الإيمان والتقوى، ثم أخذ يذكرهم بما أرادوه لأنفسهم من العير والغنيمة، وما أراده الله لهم من النصر والعزة، وكيف سارت المعركة، وهم قلة لا عدد لهم ولا عدة، وأعداؤهم كثرة في الرجال والعتاد، وكيف ثبتهم بمدد من الملائكة وبالمطر يستقون منه ويغتسلون ويثبت الأرض تحت أقدامهم فلا تسوخ في الرمال، وبالنعاس يغشاهم فيسكب عليهم السكينة والاطمئنان، وكيف ألقى في قلوب أعدائهم الرعب وأنزل بهم شديد العقاب، ومن ثم يأمر المؤمنين أن يثبتوا في كل قتال، مهما خيل إليهم في أول الأمر من قوة أعدائهم، فإن الله هو الذي يقتل، وهو الذي يرمي، وهو الذي يدبر..."[40]، كما أن السورة تبين أن النجاح في المعارك الدنيوية يرتبط مباشرة بالاستقرار الفكري للمجتمع، وأن الأمن السياسي والاجتماعي لا يتحقق إلا بالفكر السليم، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 19].

المطلب الثاني: ركائز الأمن الفكري في سورة الأنفال:

أولًا: ركائز الوقاية في الأمن الفكري: إن الأمن الفكري لا يقتصر على غياب المخاطر الخارجية أو التهديدات المادية، بل يشمل استقرار النفس والقدرة على التحكم في التفكير، والانضباط الداخلي، والقدرة على مواجهة الضغوط الفكرية دون انفعال أو تشوش، ويظهر في سورة الأنفال نموذجًا متكاملاً لتحقيق هذا الأمن وذلك من خلال ركائز الوقاية في الأمن الفكري التالية:

1- الاعتماد على الله واليقين به مصدر للأمن الفكري:

يمثل اللجوء إلى الله تعالى من أهم الأسس التربوية والنفسية التي أرادها القرآن الكريم لتزكية النفوس وتقويتها في مواجهة الابتلاءات والمحن، وقد جسد النبي ﷺ هذا المعنى قبل واقعة بدر، حين كانت المعركة تحاصر المسلمين، وقد أفلتت العير ولم يبق غير النفير، فقد ظل رسول الله ﷺ يناجي ربه بإلحاح، فقال: "اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة"[41]، ويظهر هذا الدعاء أن إلحاح النبي ﷺ لم يكن بدافع الشك في وعد الله، بل كان تربية عملية للصحابة على الاتصال الدائم بالله، والاعتماد عليه في كل الظروف، وهذا ما يعكس معنى أعمق لتزكية النفس، حيث يكون الثبات النفسي والطمأنينة مصحوبًا باليقين بأن القوة الحقيقية في الاستناد إلى الله تعالى لا إلى كثرة العدة والعدد، ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، وفي هذا الصدد، يعلق ابن كثير قائلاً: "هذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء"[42].

كما تأتي الآية الكريمة ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 49] لتؤكد على ضرورة الفرضية الإيمانية للتوكل على الله، قال الآلوسي: "إن الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه ولا يخذل من استجار به وإن شئت فقل حكيم، يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول، وتحار في فهمه ألباب الفحول"[43]، وقال الزمخشري: "ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي"[44].

وتشير السورة الكريمة: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 62] إلى أن توكل المؤمن في أوقات الخديعة والمكائد، قال الآلوسي: "وإن يريدوا أن يخدعوك بإظهار السلم فإن حسبك الله أي محسبك الله وكافيك وناصرك عليهم"[45]، وقال ابن عطية: "فإن حسْبك الله أي كافيك ومعطيك نصرة وإظهاراً، وهذا وعد محض"[46].

وتأكد السورة على الكفاية الإلهية للنبي والمؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]، قال القرطبي: "أراد التعميم، أي حسبك الله في كل حال"[47]، وقال الآلوسي: "(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) شروع في بيان كفايته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام في جميع أموره وحده أو مع أمور المؤمنين أو في الأمور المتعلقة بالكفار كافة إثر بيان الكفاية في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للنداء والتنبيه على الاعتناء بمضمونها، وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة للإشعار بعلية الحكم كأنه قيل: يا أيها النبي حسبك الله أي كافيك في جميع أمورك أو فيما بينك وبين الكفرة من الحرب لنبوتك"[48]، ويظهر هنا أثر التوكل على رفع الضغوط النفسية والفكرية، وتحقيق الأمن العقلي لدى المؤمن، حيث يدرك أن نتائج الأمور بيد الله، فلا يركن إلى الأسباب المادية وحدها، ويستمد ثقته وطمأنينته من قدرة الله وحكمته المطلقة، وهذا التوجيه يعكس قاعدة أساسية في الأمن الفكري، وهي أن الطمأنينة الفكرية تنبع من اليقين بالله والتوكل عليه، إذ يتيح ذلك للمؤمن التحكم في انفعالاته، وعدم الانجرار وراء الخوف أو الفوضى الفكرية، ويحول دون انهيار الثقة بالنفس عند مواجهة الضغوط أو التحديات.

2- تزكية النفس مكون رئيسي للأمن الفكري:

تتضمن تزكية النفس وفق القرآن تنقية القلب من الغرور، والطمع، والحسد، والشهوات الدنيوية، وهي عناصر تؤثر مباشرة على القدرة على اتخاذ القرارات الصائبة في المواقف الحرجة، فقد أشار الله تعالى إلى ذلك بعد غزوة بدر، حين قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: 26]، فالآية تذكر المؤمنين بحالتهم السابقة من الضعف والاستضعاف، وبتأييد الله ونصره لهم، مما يغرس في النفوس تواضعًا وامتنانًا ويقلل التعصب الفكري، وإن من أعظم ما يميز السورة الكريمة هو الاعتناء بالقلوب وتزكيتها على ارتباط وثيق بالله، فقد جاء في الحديث النبوي: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[49]، وتكون تزكية النفس بتقوى الله تعالى، حيث تصف السورة المؤمنين المتقين بالخصائص التالية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 2-4]، يقول القرطبي: "لقد أخذهم الله سبحانه بالتربية الربانية قولاً وعملاً، نزع أمر الأنفال كله منهم ورده إلى رسول الله ﷺ، حتى أنزل حكمه في قسمة

الغنائم بجملتها، فلم يعد الأمر حقاً لهم يتنازعون عليه، وإنما أصبح فضلاً من الله عليهم، يقسمه رسول الله ﷺ بينهم كما علمه ربه"[50].

كما يعلق ابن كثير على هذه الآية: "أي لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[51]، ويضيف ابن عاشور: "وجعلت فعلاً مضارعاً للدلالة على تكرر ذلك منهم"[52]، ويؤكد ابن عطية: "وهذه أوصاف جميلة وصف الله بها فضلاء المؤمنين فجعلها غاية للأمة يستبق إليها الأفاضل"[53].

وتعتبر تقوى الله تعالى هي صمام أمان المؤمن، وهي الأساس الذي يقوم عليه سلوك الفرد في الدنيا والآخرة، وقد عرفها علماء الأمة بطرق متقاربة: حيث قال الإمام علي عليه السلام: "الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"[54]، وقال طلق بن حبيب: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله"[55]، ويشير الزحيلي بأنها: "امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وسميت بذلك لأنها تقي العبد من النار"[56].

وتتجلى ثمار التقوى في السورة، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: 29]، وهذه الآية تؤكد أن التقوى ليست مجرد خوف أو رهبة، بل هي امتثال للأوامر وترك للمعاصي، ومن ثم تتجلى في السلوك العملي والتفاعل مع أحداث الواقع بثقة واستقرار نفسي وفكري؛ فالتقوى تمنح المؤمن إطارًا واضحًا لفهم واجباته وحقوقه، وتحميه من الالتباس الأخلاقي والفكري، وتضمن ثباته في مواجهة المحن، قال ابن جزي -رحمه الله: "فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين"[57]، ويظهر هذا جليًا في حادثة الغنائم مع سعد بن أبي وقاص ﷺ، حيث قال: "اغتنم أصحاب رسول الله ﷺ غنيمة عظيمة، فإذا فيها سيف، فأخذته فأتيت به النبي ﷺ فقلت: نفلني هذا السيف، فأنا من قد علمت حاله، قال: رده من حيث أخذته فانطلقت حتى أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت: أعطنيه، قال: فشد لي صوته 'رده من حيث أخذته' فانطلقت حتى أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت: أعطنيه، قال: فشد لي صوته 'رده من حيث أخذته' فأنزل الله: يسْألونك عن الْأنْفال"[58]، كما فسر ابن زيد -رحمه الله- هذه الآية موضحًا: "لم يقع في الآية نسخ، وإنما أخبر أن الغنائم لله من حيث هي

ملكه ورزقه وللرسول من حيث هو مبين بها أحكام الله والصادع بها ليقع التسليم فيها من الناس، وحكم القسمة نازل خلال ذلك، ولا شك أن الغنائم وغيرها والدنيا بأسرها هي لله وللرسول"[59].

ويظهر مما سبق أن القرآن يعالج الأمن الفكري من خلال تثبيت صفة التوكل، وتربية القلب على الخشية والوجل أمام الله، وتنمية السلوكيات العملية كالإنفاق والعبادة والثبات، وهذه الصفات العقلية والروحية تشكل أساس القدرة على اتخاذ القرار الصائب، وتحمي الفرد من الانحراف الفكري والانقياد وراء الأهواء.

3- الاستقرار والفهم العقلي للأحداث:

تقوم السنن الربانية على مداولة الأيام بين الأمم، فمن النصر إلى الهزيمة، ومن الشدة إلى الرفق، ومن الانحطاط إلى السمو، في إطار حكمة الله في تربية البشرية، ويؤكد على ذلك في سياق سورة الأنفال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53]، ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا على هذا المبدأ قائلاً: "إن نعم الله تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداءً ودوامًا بأخلاقهم وصفاتهم وعقائدهم وأعمالهم، فما دامت هذه الشئون لاصقة بأنفسهم متمكنة منها كانت تلك النعم ثابتة، وإذا غيروا ما بأنفسهم من العقائد والأخلاق وما يترتب عليها من محاسن الأعمال، غير الله عندئذ ما بأنفسهم وسلب نعمه منهم، فصار الغني فقيرًا، والعزيز ذليلًا، والقوي ضعيفًا"[60]، وبالتالي فإن تتبع السنن الربانية يعطي المؤمن أدوات عقلية ونفسية لفهم التغيرات، والتحكم في النفس، وتقدير الأحداث بدقة، ما يعزز الأمن الفكري ويبعده عن الاضطراب النفسي والفكري، وتوضح الآية الكريمة: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42]، وتشير هذه الآية إلى أن الترتيب الظاهر للأحداث، والفرق بين القوى البشرية، والظروف الميدانية، كلها خاضعة لحكمة الله، فالالتقاء بين المسلمين والكفار في تلك الحالة لم يكن صدفة، بل تدبير رباني ليقضي الله أمرًا قدره مسبقًا، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وهذا يرسخ في قلب المؤمن مبدأ التوكل على الله، والاستسلام لحكمته، والاستشعار بأن كل فعل إلهي له حكمة وغاية.

وقد شرح المفسرين الحكمة في ترتيب المعركة، حيث قال الزمخشري: "فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم؟ قلت: الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته، وتكامل عدته، وتمهد أسباب الغلبة له، وضعف شأن

المسلمين والتياث أمرهم، وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه، ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته"[61]، ويقول ابن كثير: "إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد، لينصركم عليهم، ويرفع كلمة الحق على الباطل، ليصير الأمر ظاهراً، والحجة قاطعة، والبراهين ساطعة، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة"[62].

وقال الشاذلي: "ألا إن غزوة بدر - بملابساتها هذه - لتمضي مثلاً في التاريخ البشري، ألا وإنها لتقرر دستور النصر والهزيمة؛ وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة... الأسباب الحقيقية لا الأسباب الظاهرة المادية، ألا وإنها لكتاب مفتوح تقرؤه الأجيال في كل زمان وفي كل مكان، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها، فهي آية من آيات الله، وسنة من سننه الجارية في خلقه، ما دامت السماوات والأرض"[63]، "وإن المؤمن حين يعي السنن الإلهية يربط بين الوقائع الملموسة وبين حكم الله، فيتكون لديه ما يمكن تسميته بـ'الأمن الفكري الروحي"، أي الاطمئنان الكامل إلى قدرة الله وإرادته، مع استعداد للتفاعل مع الواقع المادي وفق التوجيه الرباني"[64].

ومما سبق يتبين أن الأمن الفكري ليس غياب المخاطر، بل إدراك أن النتائج بيد الله وحكمته المطلقة، وهو ما يعين على اتخاذ القرارات الرشيدة والتصرف السليم في أوقات الشدة والخديعة.

4- تجنب الفكر المغلوط والتحذير منه:

تجنب الفكر المغلوط يكون بـ "البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار"[65]، يقول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 72-73]، وهذه الآيات توضح أن المؤمنين يجب أن يكونوا موالين لبعضهم البعض متحابين ومتراحمين، وأن التماهي أو الموالاة مع أعداء الله تؤدي إلى الفتنة والفساد؛ فيعلق ابن كثير على ذلك قائلاً: "إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض"[66]، ويظهر من ذلك أن القرآن يربط بين الثبات النفسي والاعتماد على الله وبين التحرك الميداني في مواجهة التحديات، وهو منهج تربوي يعزز قدرة المؤمن على إدارة المخاطر الفكرية والعملية دون انفعال أو خوف، ويؤكد أن الثبات الميداني في القتال ليس مجرد قوة جسدية، بل شجاعة عقلية

وروحية ترتكز على اليقين بالله ومعرفة العقوبة والجزاء، ما يجعل النص القرآني نموذجًا متكاملاً لتدريب النفس على التوازن النفسي، والاعتماد على الله.

ثانيًا: ركائز الأمن الفكري عند المواجهة:

1- الشجاعة والإقدام ودورها في الاستقرار الفكري

من أبرز المعاني التربوية في سورة الأنفال، تدريب المؤمنين على الشجاعة والإقدام عند مواجهة الأعداء، وحذرهم من التخاذل والهروب، حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 15-16]، يقول ابن كثير: "هذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء"[67].

ويضيف الشيخ الشعراوي: "أن الثبات هنا معناه المواجهة والشجاعة، لأن الإنسان إذا ما كان ثابتًا في القتال فالعدو يخشاه ويهابه، وإن لم يكن كذلك فسوف يضطر إلى النكوص، وهذا ما يجرئ الكفار عليكم، وما دمتم قد جئتم إلى القتال، فلا بد أن يشهد الأعداء شجاعتكم؛ لأنكم إن فررتم فهذه شهادة ضعف ضدكم؛ ولذلك لابد من التدريب على الثبات والقتال، وهذا هو الإعداد المسبق للحرب؛ بالتدريب القوي والتخطيط الدقيق، وألا يتولى أحد منكم ويفر لحظة الزحف لأن هذا العمل هو من أكبر الكبائر"[68]، كما يتجلى ذلك في مواجهة الخيانة باليقظة والقوة، حيث قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: 58]، فالرسالة القرآنية هنا واضحة: لا يترك المسلم المجال للغدر أن ينفذ، ويعلن عن موقفه بصراحة حتى يضطر الطرف الآخر إلى الاعتراف بحقيقة الأمر[69]، ويؤكد هذا النهج أن الأمن الفكري ليس حالة سلبية من الانغلاق أو الخوف، بل هو نشاط إيجابي للنفس والفكر، مرتبط بالمعرفة الصحيحة والاتصال بالله والعمل الصالح، مما يرسخ القدرة على مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية دون اضطراب أو انحراف.

2- الصبر والمصابرة: ركائز الأمن الفكري:

ويعني بالصبر: "تجلد ولم يجزع وانتظر في هدوء واطمئنان، ويقال صبر على الأمر احتمله"[70]، أو هو "ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله"[71]، يقول الله تعالى في سياق سورة الأنفال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، ويعلق الإمام القرطبي على هذه الآية قائلاً: "أمر الله تعالى بالصبر، وهو محمود في كل المواطن، وخاصة موطن الحرب"[72]، وتتكرر الآيات التحفيزية للصبر ومغالبة العدو، منها قوله تعالى: ﴿يَا

أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65]، ويكمل الله تعالى تأكيده على فضل الصبر: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 66]، وقد أشار تفسير المنار إلى أن: "المصابرة والمرابطة، وهي الرباط بمعنى مواجهة الأعداء، ومغالبتهم في الصبر"[73]، كما حث النبي ﷺ على الصبر، فقال: "واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر"[74]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، قال النعماني: "والمقصود أن كمال أمر الجهاد مبني على الصبر، فأمرهم بالصبر"[75]، ويعكس هذا القول الربط بين الصبر والتثبيت في مواجهة الأعداء وبين النجاة العقلية والفكرية للمؤمنين، مما يجعل الصبر جزءًا أساسيًا من الأمن الفكري والروحي.

3- وحدة الصف وعدم التنازع أساس الأمن الفكري:

لقد امتازت غزوة بدر بوحدة الصف والتماسك، وهو عنصر أساسي في بناء الأمن الفكري، كما ورد في قوله تعالى: "﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 62-63].

وتحذر السورة من التنازع والتفرق حيث جاء في أول السورة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، ومن خلال هذه الآيات يتضح أن الوحدة والتعاون وترك التنازع والتفكك تعتبر من العوامل الرئيسة لتحقيق الأمن الفكري والمعنوي، إذ أن الخلاف الداخلي يضعف الموقف ويعزز الهزيمة على الصعيدين النفسي والعسكري.

ثالثًا: تنمية الشعور بالمسؤولية:

تعد تنمية الشعور بالمسؤولية من أبرز القيم التي حرص القرآن الكريم على ترسيخها في النفوس، باعتبارها المفتاح الأساسي لبذل النفس والنفيس في سبيل الله ونصرة الدين، فقد جاء القرآن لتوجيه المؤمنين نحو إدراك أن واجبهم تجاه الله ورسوله والمجتمع لا يقتصر على الالتزام الفردي، بل يشمل العمل الجماعي المشترك الذي يحقق الأمن الفكري والاستقرار الروحي والاجتماعي، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]، فإن

" القرآن لا يخاطب فرداً من المؤمنين بخطيئته أو ضعفه، لكنه يوجه الخطاب إلى الجماعة كلها، وهي نظرة في منتهى السمو في الناحية الاجتماعية، تؤكد وحدة الجماعة وكتلتها وتماسكها"[76]؛ فتوجيه القرآن إلى الجماعة يعطي الأمن الفكري بعداً جماعياً، بحيث يشعر كل مؤمن بأنه جزء من كيان متكامل، وأن مسؤوليته الفردية مرتبطة بالمسؤولية الجماعية، وهذا يشجع على الالتزام بالمبادئ وتوزيع الأدوار بما يحقق الصالح العام.

وقد ربطت الآية المسؤولية بالإيمان والعمل الجماعي من خلال تعميق الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية، حيث يصبح كل فرد واعياً بأن أعماله تؤثر في نتائج الجماعة، بالإضافة إلى غرس ثقافة التقدير الواقعي للقدرات البشرية، مع إدراك أن النصر النهائي مرهون بإرادة الله وحكمته، وكذلك تربية على التخطيط والاستعداد للحروب والمعارك بطريقة منهجية وعقلانية، مما يقلل من الفوضى والانحراف في القرارات أثناء الأزمات، " والأمن الفكري لا يتحقق إلا عندما يشعر الفرد بأن دوره مؤثر، وأن مسؤولياته محددة وواضحة، وأن الجماعة تتكاتف على تحقيق الهدف المشترك"[77].

الخاتمة: أهم النتائج:

- يبين البحث أن الأمن الفكري في القرآن يقوم على الطمأنينة العقدية واليقين المعرفي، وليس على مجرد غياب الخوف أو القمع الفكري.
- كشفت النصوص القرآنية أن الأمن على الدين هو الأساس لكل أشكال الأمن الأخرى.
- أثبتت سورة الأنفال أن تزكية النفس واللجوء إلى الله تعالى ركيزتان مركزيتان في تحقيق الاستقرار الفكري أثناء الأزمات.
- يتميز الخطاب القرآني بالجمع بين التربية الإيمانية والتنظيم العملي.
- تقدم النموذج القرآني في سورة الأنفال حلولًا عملية لمواجهة الفكر المنحرف والغلو والتفريط.

التوصيات:

- ضرورة إدماج مفهوم الأمن الفكري القرآني في المناهج التعليمية.
- ضرورة توجيه الدراسات القرآنية نحو المقاربات التطبيقية، والاستفادة منها في بناء برامج تحصين فكري للشباب.

الهوامش:

---

[1]ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط1، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1994م، مادة "أمن"، ج1، ص88.

[2]ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1413هـ/1993م، مادة "أمن"، ج1، ص223.

[3]الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م، باب النون فصل الهمزة، ص1060.

[4]ابن منظور، لسان العرب، مادة "أمن"، ج1، ص223.

[5]الجرجاني، السيد الشريف، التعريفات، تح: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، د. ت، ص 46.

[6]الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط1، د. ت، مادة: أمن، ص 25.

[7]الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس، دار الهداية، ص 123.

[8]الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، مادة "وقى"، ج8، ص256.

[9]ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة "فكر"، ج4، ص793.

[10]مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط2، دار الدعوة، القاهرة، (د.ت)، ج2، ص698.

[11]ابن منظور، لسان العرب، مادة "فكر"، ج10، ص307.

[12]أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ/1993م، فصل الفاء، ص 697.

[13]الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: فكر، ص 384.

[14]الجرجاني، التعريفات، ص 46.

[15]الدسوقي، فاروق أحمد، حرية الإنسان في الفكر الإسلامي، دار الدعوة، (د، ت)،1982، ص45.

[16]الخولي، جمعة، أضواء على الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار العلم، (د، ت)، ص2.

[17]أبو زيد، نايل ممدوح، الأمن في رحاب القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 1994م/1995م، ص144.

[18]ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م: 39/1.

[19]ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ/1986م، ج4، ص592.

[20]الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1417هـ/1997م، ج1، ص38.

[21]الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط4، طهران، 1407هـ، ج1، ص69.

[22]رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في القناعة، حديث رقم 2346، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج4، ص 496؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب القناعة، حديث رقم 4141، ط دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م، ج2، ص 1387.

[23]رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم 5074، ط دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م، ج5، ص 315؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، حديث رقم 3871، ج2، ص 1273.

[24]رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم 2627، ج5، ص 18؛ والنسائي في سننه، كتاب الإيمان، باب صفة المؤمن، حديث رقم 4996، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، ج8، ص 105؛ وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، حديث رقم 3934، ج2، ص 1298.

[25]رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة، تح: صبحي الصالح، دار الهجرة، قم، 1414هـ، ص 306.

[26]رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص 1002.

[27]الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، ط1، 1985م، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان – الأردن، ص6.

[28]النبهاني، محمد تقي الدين، الشخصية الإسلامية، طبعة بيروت، سنة 1964م، ج1، ص8.

[29]سبق تخريجه، ص 10.

[30]أبو زيد، الأمن في رحاب القرآن، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2005م، ص10.

[31]الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، ص83.

[32]أبو زيد، الأمن في رحاب القرآن، ص99.

[33]الخالدي، محمود، مفهوم الاقتصاد في الإسلام، دار الجيل، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م، ص9.

[34]عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، ط1، 1418هـ/1998م، ص12.

[35]قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، ط12، 1412هـ/1992م، ص130–131.

[36]الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ، ج9،ص236.

[37]الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج3، ط1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ /2000م، ص370.

[38]الزهري، ابن شهاب، تنزيل القرآن، ط2، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1980م، ص29.

[39]السيوطي، جلال الدين، أسرار ترتيب القرآن، ج1، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت، ص9.

[40]الشاذلي، سيد قطب، ظلال القرآن، ج3، ط9، دار الشروق، القاهرة، 1992م، ص1464–1465.

[41]ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، 1411هـ، ج3، ص168.

[42]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص385.

[43]الآلوسي، روح المعاني للآلوسي، ج5، ص213.

[44]الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2، ص228..

(45)الآلوسي، روح المعاني للآلوسي، ج5، ص223..
(46)ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص548..
(47) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ–1964م، ج8، ص42.
(48)الآلوسي، روح المعاني للآلوسي، ج5، ص226.
(49)البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، رقم 52؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم 1599.
(50)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص361..
(51)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص274.
(52)الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص259.
(53)ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص501.
(54)الصلابي، علي محمد، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ج1، ط1، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1426هـ، ص348.
(55)ابن رجب الحنبلي، أحمد بن علي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، 1408هـ، ص159.
(56)الزحيلي، التفسير المنير، ج9، ص300.
(57)ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص320.
(58)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص361.
(59)ابن زيد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص497.
(60)رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج10، ص33.
(61)الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2، ص223..
(62)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص69..
(63)الشاذلي، ظلال القرآن، ج3، ص1482.
(64)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص1482.
(65)القحطاني، محمد بن سعيد، الولاء والبراء، المكتبة التوفيقية للطباعة، مصر، ص70.
(66)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص98.
(67)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص385.
(68)الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، ج8، أخبار اليوم، إدارة الكتب والمكتبات، د.ت، ص4719.
(69)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص51.
(70)الزيات، أحمد، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ج1، ص505.
(71)الجرجاني، التعريفات، ص172.
(72)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص25.
(73)رضا، تفسير المنار، ج4، ص261.
(74)ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج5، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1421هـ–2001م، ص19.
(75)النعماني، اللباب في علوم الكتاب، ج9، ص535.

[76]المصري، محمد أمين، من هدي سورة الأنفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2005م، ص62.

[77]المصري، من هدي سورة الأنفال، ص62.

قائمة المصادر باللغة العربية:

القرآن الكريم.

1. أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ/1993م.
2. الجرجاني، السيد الشريف، التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، د. ت.
3. الخالدي، محمود، مفهوم الاقتصاد في الإسلام، دار الجيل، بيروت، ط1، 1404هـ/1984م.
4. الخالدي، محمود، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، بحث مقدم إلى مؤتمر رفع إنتاجية الإنسان المصري، جامعة الإسكندرية، مصر، من 6-9 أغسطس/آب 1984م، ط1، 1985م، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان – الأردن.
5. الخولي، جمعة، أضواء على الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار العلم، (د.ت).
6. الدسوقي، فاروق أحمد، حرية الإنسان في الفكر الإسلامي، دار الدعوة، 1982.
7. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط1، د.ت.
8. ابن رجب الحنبلي، أحمد بن علي، جامع العلوم والحكم، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1408هـ
9. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
10. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج9، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ، ص236.
11. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د. ت.
12. أبو زيد، نايل ممدوح، الأمن في رحاب القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 1994م/1995م.
13. الزيات، أحمد، وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة.
14. الزهري، ابن شهاب، تنزيل القرآن، ط2، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1980م.
15. السيوطي، جلال الدين، أسرار ترتيب القرآن، ج1، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.
16. الشاذلي، سيد قطب، ظلال القرآن، ج3، ط9، دار الشروق، القاهرة، 1992م.
17. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1417هـ/1997م.
18. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، إدارة الكتب والمكتبات، د.ت.
19. الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، دار الهجرة، قم، ط1، 1414هـ
20. الصلابي، علي محمد، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ج1، ط1، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1426هـ
21. الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج3، ط1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ /2000م.
22. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م.
23. عمارة، محمد، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، ط1، 1418هـ/1998م.
24. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط1، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1994م.
25. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
26. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م.

27. قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، ط12، 1412هـ/1992م.
28. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ-1964م.
29. القحطاني، محمد بن سعيد، الولاء والبراء، المكتبة التوفيقية للطباعة، مصر.
30. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ/1986م.
31. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط4، طهران، 1407هـ
32. النبهاني، محمد تقي الدين، الشخصية الإسلامية، طبعة بيروت، سنة 1964م.
33. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط2، دار الدعوة، القاهرة، (د.ت).
34. المصري، محمد أمين، من هدي سورة الأنفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2005م.
35. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1413هـ/1993م.
36. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة: 1411هـ، دار الجيل، بيروت.

قائمة المصادر باللغة الإنكليزية:

The Holy Qur'an.

1. Abu al-Baqa' al-Kafawi, Ayyub ibn Musa, Al-Kulliyyat, Al-Resalah Foundation, Beirut, 2nd ed., 1413 AH / 1993 CE.
2. Al-Jurjani, Al-Sayyid al-Sharif, Al-Ta'rifat, ed. 'Abd al-Mun'im al-Hifni, Dar al-Rashad, Cairo, n.d.
3. Al-Khalidi, Mahmud, The Concept of Economy in Islam, Dar al-Jeel, Beirut, 1st ed., 1404 AH / 1984 CE.
4. Al-Khalidi, Mahmud, Thinking as the Beginning of the Path to the Renaissance of the Islamic Ummah, paper presented to the Conference on Raising the Productivity of the Egyptian Individual, Alexandria University, Egypt, 6–9 August 1984; 1st ed., 1985, Modern Al-Resalah Library, Amman, Jordan.
5. Al-Khouli, Jum'ah, Insights into Contemporary Intellectual Trends, Dar al-'Ilm, n.d.
6. Al-Dusuqi, Faruq Ahmad, Human Freedom in Islamic Thought, Dar al-Da'wah, 1982.
7. Al-Raghib al-Isfahani, Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an, Dar al-Ma'rifah, Beirut, 1st ed., n.d.
8. Ibn Rajab al-Hanbali, Ahmad ibn 'Ali, Jami' al-'Ulum wa al-Hikam, 1st ed., Dar al-Ma'rifah, Beirut, 1408 AH.
9. Rida, Muhammad Rashid, Tafsir al-Manar, Egyptian General Book Organization, 1990.
10. Al-Zuhayli, Wahbah ibn Mustafa, Al-Tafsir al-Munir fi al-'Aqidah wa al-Shari'ah wa al-Manhaj, vol. 9, 2nd ed., Dar al-Fikr al-Mu'asir, Damascus, 1418 AH, p. 236.
11. Al-Zabidi, Muhammad ibn Muhammad ibn 'Abd al-Razzaq al-Husayni, Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus, Dar al-Hidayah, n.d.
12. Abu Zayd, Nayel Mamdouh, Security in the Light of the Qur'an, PhD dissertation, Omdurman Islamic University, Omdurman, 1994–1995.
13. Al-Zayyat, Ahmad, et al., Al-Mu'jam al-Wasit, ed. Arabic Language Academy, Dar al-Da'wah, Cairo.
14. Al-Zuhri, Ibn Shihab, Tanzil al-Qur'an, 2nd ed., Dar al-Kitab al-Hadith, Beirut, 1980.

15. Al-Suyuti, Jalal al-Din, Asrar Tartib al-Qur'an, vol. 1, ed. 'Abd al-Qadir Ahmad 'Ata, Dar al-I'tisam, Cairo, n.d.
16. Sayyid Qutb, Fi Zilal al-Qur'an, vol. 3, 9th ed., Dar al-Shuruq, Cairo, 1992.
17. Al-Shatibi, Ibrahim ibn Musa, Al-Muwafaqat, ed. Abu 'Ubaydah Mashhur ibn Hasan Al Salman, 1st ed., Dar Ibn 'Affan, Saudi Arabia, 1417 AH / 1997 CE.
18. Al-Sha'rawi, Muhammad Mutawalli, Tafsir al-Sha'rawi, Akhbar al-Yawm, Department of Books and Libraries, n.d.
19. Al-Sharif al-Radi, Nahj al-Balaghah, ed. Subhi al-Salih, Dar al-Hijrah, Qom, 1st ed., 1414 AH.
20. Al-Sallabi, 'Ali Muhammad, The Biography of the Commander of the Faithful 'Ali ibn Abi Talib, vol. 1, 1st ed., ed. by a group of scholars under the supervision of Shu'ayb al-Arna'ut, Mu'assasat al-Resalah, 1426 AH.
21. Al-Tabari, Ibn Jarir, Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an, vol. 3, 1st ed., ed. Ahmad Muhammad Shakir, Mu'assasat al-Resalah, 1420 AH / 2000 CE.
22. Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir, Al-Tahrir wa al-Tanwir, Dar Sahnun for Publishing and Distribution, Tunisia, 1997.
23. 'Imarah, Muhammad, Islam and Social Security, Dar al-Shuruq, 1st ed., 1418 AH / 1998 CE.
24. Ibn Faris, Ahmad ibn Zakariyya, Mu'jam Maqayis al-Lughah, ed. Shihab al-Din Abu 'Amr, 1st ed., Dar al-Fikr, Beirut, 1415 AH / 1994 CE.
25. Al-Farahidi, Al-Khalil ibn Ahmad, Al-'Ayn, ed. Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarra'i, 2nd ed., Dar wa Maktabat al-Hilal, Beirut.
26. Al-Fayruzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qub, Al-Qamus al-Muhit, Dar al-Fikr, Beirut, 1415 AH / 1995 CE.
27. Qutb, Muhammad, The Ignorance of the Twentieth Century, Dar al-Shuruq, 12th ed., 1412 AH / 1992
28. Al-Qurtubi, Abu 'Abd Allah Muhammad ibn Ahmad, Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an, 2nd ed., ed. Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfish, Dar al-Kutub al-Misriyyah, Cairo, 1384 AH / 1964 CE.
29. Al-Qahtani, Muhammad ibn Sa'id, Al-Wala' wa al-Bara', Al-Tawfiqiyyah Printing Library, Egypt.
30. Ibn Kathir, Isma'il ibn 'Umar al-Dimashqi, Tafsir al-Qur'an al-'Azim, 1st ed., Dar al-Ma'rifah, Beirut, 1406 AH / 1986 CE.
31. Al-Kulaynī, Muhammad ibn Ya'qub, Al-Kafi, ed. 'Ali Akbar al-Ghifari, Dar al-Kutub al-Islamiyyah, 4th ed., Tehran, 1407 AH.
32. Al-Nabhani, Muhammad Taqi al-Din, The Islamic Personality, Beirut edition, 1964.
33. Arabic Language Academy (Cairo), Al-Mu'jam al-Wasit, 2nd ed., Dar al-Da'wah, Cairo, n.d.
34. Al-Masri, Muhammad Amin, Guidance from Surah Al-Anfal, Dar al-Fikr al-'Arabi, Cairo, 1st ed., 2005.
35. Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn 'Ali al-Ansari, Lisan al-'Arab, 3rd ed., Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, 1413 AH / 1993 CE.
36. Ibn Hisham, 'Abd al-Malik, The Prophetic Biography, ed. Taha 'Abd al-Ra'uf Sa'd, ed. 1411 AH, Dar al-Jeel, Beirut.

Pillars of Intellectual Security in Qur'anic Discourse an Interpretive Study of Surah Al-Anfal

Assist Lect. Aya Wael Saleh

Directorate General of Education, First Rusafa,

Ministry of Education

aya.wa.sa.92@gmail.com

Keywords: Qur'anic Discourse - Intellectual Security - Surah Al-Anfal

Summary:

This study aims to clarify the foundations of intellectual security in the Qur'anic discourse through an analytical and interpretive examination of Surah Al-Anfal, which represents a Qur'anic model addressing intellectual instability during times of crisis and conflict. The research adopts an analytical and inferential methodology by examining Qur'anic verses, exploring their meanings, and linking them to their historical and contextual background in order to identify the faith-based, educational, and methodological principles employed by the Qur'an to achieve intellectual stability for individuals and societies. The study concludes that intellectual security in the Qur'an is built upon several key pillars, most notably self-purification, strengthening certainty in God, deepening reliance upon Him, controlling emotions during hardship, and reinforcing unity and conscious obedience to legitimate leadership. Furthermore, Surah Al-Anfal presents an integrated framework for intellectual security that combines doctrinal foundations, ethical guidance, and practical responses to crises, making it a significant Qur'anic reference for contemporary studies on intellectual security.